تأثير الرياح الموسمية في احوال مصر والجزيرة العربية السياسية والاقتصادية

(١١٦ : ٢٥ ق.م)

شحاته محمد اسماعيل

عرف الإنسان الملاحة منذ أن عرف طريقه إلى لج الماء ولطالما جابت سفن الفراعنة البحر الأحمر فى رحلات كشفية ، وتجارية [١] . فقد قام " حرخوف " بأربع رحلات إلى الجنوب فى عهدى " مرنرع " ، و " بيبى الثانى " ، من ملوك الأسرة السادسة . كما تردد الملاح المصرى " خنوم حوتب " بمركبه على ميناء "جمول" [٢] وبلاد " بوينة " [٣] إحدى عشرة مرة ، فى عصر الدولة القديمة واستمتع بما شاهده هناك [٤] . فلما سرى الضعف فى أوصال دولة الفراعنة فى العصر الفرعونى المتأخر [٥] ، انتقل زمام التجارة فى البحر الأحمر إلى الفينيقيين [٦] ، الذين وجد فيهم الإغريق خير وسيط بينهم وبين تجار جزيرة العرب [٧] .

---

(١) جورج بوزنر وآخرون ، معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة أمين سلامة ، القاهرة، ١٩٩٦ ، ص ص١٩٠/ ١٩١.

(٢) على الساحل الفينيقى .

(٣) قصد بها المصريون منطقة الصومال وإريتريا وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد العرب (اليمن) فى بعض عصورهم .

(٤) عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ص٥ / ١٤٧ .

(٥) اعتباراً من أيام الأسرة الرابعة والعشرين الفرعونية .

(٦) أطلق الإغريق هذا الاسم على الكنعانيين الذين استقروا على الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، ويقال أنهم أول أمة بحرية فى التاريخ . أنظر :
محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، د . ت ، ص ص ٢٧٩/٨

(7) Herod. , III , m .

وقد مارس العرب الملاحة فى البحار المحيطة بجزيرتهم ، وكانت أداة وصل أكثر منها أداة فصل بين الجزيرة العربية وما جاورها من أمم وممالك [١] . وخير دليل على هذا شهرة " المعنيين " [٢] بالتجارة وما نقلوا من سلع افريقيا والهند إلى سواحل البحر المتوسط [٣] ، إذ وصلت مراكبهم إلى مصر [٤] ، بل وإلى جزيرة "ديلوس " [٥] وسط بحر ايجة . كذلك مارس أهل " الجرهاء " (Garha) تجارتهم النشطة مع البلاد المقابلة لهم عبر الخليج العربى [٦] .. وكذلك ، كانت هناك طرق تربط الموانئ العربية بالهندية ، منها طريق ربط " باريجازا " [٧] (Barygaza) بكل

---

(١) نتيجة لوجود العديد من الجزر والمضايق التى سهلت اتصال الجزيرة بما جاورها عبر تلك البحار .

(٢) من أقدم ممالك جنوبى الجزيرة العربية

فؤاد حسنين ، " التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية " ، التاريخ العربى القديم ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢٦٧ .

(3) Pliny , XII , xxx , 34 .

(4) Grohman (A.) , Arabien , Munchen , 1963 , p. 26 .

Cf. Sayed (A. A.) Reconsideration of the Minaean Inscription of Zayd`il Bin Zayd , Seminar for Arabian Studies , 4 , 1984 , p. 93 .

(5) Winnett (F. V.) , " The Place of the Minaes in the History of Pre - Islamic Arabia " , B. A. S. O. R. , New Haven , 1939 , No. 73 , p. 6 .

(٦) جورج حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة يعقوب بكر ، القاهرة ، د. ت ، ص ص ٦٢/١ .

(٧) " براوخ " حالياً ، على ساحل الهند الغربى ، انظر :

نقولا زيادة ، " دليل البحر الأريترى وتجارة الجزيرة العربية البحرية " ، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٤ ، الكتاب الثانى ، ص ٢٦٥ .

من " عمان " ، و " خاراقس " [١] (Charax) ، وآخر ربط الموانئ الهندية بجزيرة "سقطرى " ، وميناء " المخا " [٢] (Moscha) .

ونظراً لمعرفة العرب للتجارة منذ القدم ، ولأنها عندهم كانت من أشرف الحرف وأعلاها منزلة [٣] ، فقد عرفتهم شعوب العالم القديم تجاراً ووسطاء نشطين [٤] .

وقد كانت عروض التجارة – وفى مقدمتها المواد العطرية [٥] – تدر على العرب أرباحاً وفيرة ، مما حمل المهتمين [٦] بتلك الموارد على الخلاص من تلك الوساطة العربية [٧] .

ويمكن تقسيم اهتمامات البطالمة بالتجارة الشرقية عامة ، والعربيه خاصة إلى حقبتين رئيسيتين ، كانت إحداهما منذ أيام " بطلميوس الأول " ، (سوتير Soter) حتى عهد " بطلميوس الخامس " (الظاهر Epiphanes) ، أى خلال القرن الثالث

---

(١) ميناء على الخليج العربى ، انظر :

Starchy (J.), " La Civilization Nabateene : Etat des Questions ", A. A. A. S., 1969 - 1971, Vol. 24, No. 1-2, p. 80.

(2) The Periplus, Ch. 32.

أنظر الخريطة رقم (١) .

(٣) جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، جـ٧ ، ص٢٢٧ .

(4) Strabo, XVI, IV, 22.

(٥) من بخور ولبان وبلسم وغيرهم .

Cf. Van Beek (W. G.), " Frankincens and Myrrh in Ancient South Arabia ", J. A. O. S., New Haven, 1958, Vol. 78, p. 72.

(٦) مثل البطالمة حكام مصر والسلوقيون حكام سورية آنذاك .

(٧) فيليب حتى ، تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ،ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص٧١.

والنصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد . وقد حاول البطالمة فى هذه الحقبة السيطرة على منافذ التجارة الشرقية [١] بالاستيلاء على " فينيقيا " و "جوف سوريا " [٢] (Coele Syria) ، وبعض سواحل آسيا الصغرى [٣] ، أما البحر الأحمر فلم يشكل سوى أهمية ثانوية [٤] ، إذ كانت سياسة مصر - بعد الفتح المقدونى - تتجه باطراد نحو بحر ايجة ، والذى أصبح فيما يبدو مركز العالم آنذاك [٥] .

هذا ، وقد شهد منتصف القرن الثالث قبل الميلاد انهيار التوازن الدولى [٦] ، وفقدت مصر ما بقى من ممتلكاتها فى الخارج ، وبدأ الخمول يسيطر على سياستها الخارجية [٧] . تبع ذلك - بطبيعة الحال - فشل البطالمة فى السيطرة على منافذ تلك التجارة .

لذلك اضطر البطالمة - فى الحقبة الثالثة - منذ عهد بطلميوس السادس "فيلوميتور" (Philometor) - إلى توجيه كل اهتماماتهم إلى البحر الأحمر ، فكان من ثم توجيه البعثات الكشفية [٨] التى بلغت غايتها المنشودة فى عهد " بطلميوس الثامن"

---

(١) نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، ط٦ ، القاهرة ، ١٩٨٨ حـ٣ ص٥١ .

(2) Appian , Syr. , 52 .
Diod. , XVIII , 43 .

(٣) نصحى ، المرجع السابق ، حـ١ ص ١٠٩ .

(4) Rostovtzeff (M.) , The Social & Economic History of the Hellenistic World , Oxford , 1953 , p. 924 .

(٥) نصحى ، المرجع السابق ، حـ١ ص ٧٠ .

(6) Rostovtzeff (M.) , op. cit., p. 47 .

(٧) نصحى ، المرجع السابق ، حـ١ ص ص ١٦٣ ، ٢ / ١٨٣ .

(8) Preaux (C.) , L'economie Royale des Lagides , Bruxelles , 1939 , pp. 358 ff.

(يوارجتيس Euergetes الثانى) فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد [١] . كما اهتم البطالمة بإقامة العديد من الموانئ والمدن على شاطئى البحر الأحمر [٢] . ووجهوا عناية خاصة إلى الطرق التى تربط النيل بالبحر الأحمر [٣] ، وعملوا على تأمين طرق التجارة عامة ، والبحر الأحمر خاصة [٤] .

مجمل القول أن البطالمة بعد فشلهم فى السيطرة على منافذ التجارة الشرقية [٥] ، اتجهوا يتلمسون بطلمة البحر الأحمر [٦] . ومن هذا المنطلق سعوا إلى السيطرة على تجارة العرب قبل بلوغها منافذها الشمالية . وما كان ذلك بداهة بغير الوصول إلى مناطق الإنتاج سواء فى الجزيرة العربية أو فى الهند . لذلك عمل على الوصول إلى جزيرة العرب [٧] أو إلى القارة الهندية مباشرة دون وسيط .

ولما كان للعرب سفن مكنتهم من الابحار إلى الهند حيث كانت لهم جالية عربية (Arabita) كبيرة قرب نهر السند [٨] . فقد يتساءل البعض : كيف استطاع

---

(١) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ص ص٦ / ٥٧ .

(2) Cf. Fraser (P. M.) , Ptolemaic Alexandria , Oxford , 1972 , I , pp. 177/8 .
Bevan (E.) , op. cit. , pp. 92 / 3 .

(3) Rost. (M.) , op. cit. , p. 1396 .
Fraser (P. M.) , loc. cit.

(٤) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ص ٥٢ .

Rost. (M.) , op. cit. , p. 928 .

(٥) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ص ٥١ .

(٦) شحاتة محمد اسماعيل ، " الاهتمامات البطلمية بشئون الجزيرة العربية " ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، العدد الحادى عشر ، ١٩٩٣ ، ص٢٦٠ .

(7) Cf. Plin. , V. XII , 65 .

(٨) صلاح البكرى ، تاريخ حضرموت السياسى ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ ، حـ١ ، ص١٠٢ .

العرب الوصول إلى الهند ؟ وهل كانوا على دراية بالرياح الموسمية ؟

لقد تضاربت الآراء فى مدى معرفة العرب لخصائص تلك الرياح . إذ أقر بذلك البعض وبأنهم استغلوها فى الوصول إلى القارة الهندية ، بل وحرصوا على ألا يفصحوا عن أسرارها حتى لا يشاركهم أو ينافسهم فيها غيرهم [١] . إذا وضعنا فى الاعتبار أن سفنهم كانت تشتمل على مقدمة ومؤخرة [٢] .

على حين ينكر غيرهم على العرب ذلك ، مستندين – وهو الأرجح – إلى أن سفنهم – التى شدت بألياف جوز الهند – لم تمكنهم من الابحار مسافات طويلة إلا عند اعتدال المناخ . ومن ثم كانت سفنهم تسير مساحلة [٣] .

ونحن نميل إلى هذا الرأى لأنه أقرب إلى المنطق ، ولما سوف تترك الافادة من الرياح الموسمية من آثار واضحة لا على جزيرة العرب فحسب ، بل على ما جاورها من شعوب ، لاسيما مصر .

وقد حرص البطالمة بما أرسوا من نظم اقتصادية [٤] تمكن لهم أهدافهم من فيوض المال ، على القبض على زمام التجارة عامة ، والشرقية خاصة ، واحتياز أرباحها الطائلة [٥] .

---

(١) جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ص ١ / ٧٤ .

(٢) محمد بيومى مهران ، الحضارة العربية القديمة ، الاسكندرية ، د . ت ، ص ص٣ /٢٩٥.

(٣) جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ص ١ / ٦٢ .

(4) Preaux (C.) op. cit. , pp. 426 ff .

(٥) نصحى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٥٥ .

وكانت المواد العطرية والطيوب تتصدر تجارة العالم القديم ، لذا عمل البطالمة على الوصول إلى مصادرها حيثما كانت ، سواء فى بلاد العرب [١] ، أو افريقيا ، أو الهند [٢] .

لذا فقد أرسل " بطلميوس فيلادلفوس " سفيراً يدعى " ديونيسيوس " (Dionysius) إلى ملك الهند البوذى " أسوقا " [٣] (Asoka) الذى كان أنفذ بعثة من المبشرين إلى عاصمة الملك البطلمى [٤] . كما أرسل العاهل البطلمى – أيضاً – إلى الهند لجلب مدربين لفيلته . وتقوم الآثار [٥] دليلاً على الحفلات البوذية التى شهدتها مصر فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد [٦] .

أما ، كيف انتهى البطالمة إلى الهند ؟ مع ما كان عليهم يومئذ صعباً من انفاذ رسلهم إليها عبر مملكة السلوقيين [٧] ، مع صعوبة استصحاب عربى يرشدهم عبر البحار ، كما سبق " لبطلميوس سوتير" (Soter) ، إذ كلف شيخاً عربياً باصطحاب سفير له عبر طريق القوافل إلى بابل . وقد وقع ذلك لأسباب أهمها يُسر الطريق

---

(1) Preaux (C.) op. cit. , p. 359 .

(2) Cf. Rostavtzeff (M.) , op. cit. , pp. 336 / 7 .

(3) Plin. , VI , 58 .

(4) Bell (I.), Egypt From Alexander to the Arab Conquest , Oxford , 1948 , p. 53.

(5) Tarn (W. W.) , " Ptolemy II and Arabia " , J. E. A. , London , 1929 , vol. 15, p. 251 .
Fraser (P. M.) , op. cit. , I , pp. 180 / 1 .

(٦) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٢ ، ص ١٧٦ .

(٧) منافسو البطالمة آنذاك .

البرى آنذاك ، مع رفض العرب للسفن الأجنبية تجاوز باب المندب ، وذلك حتى يحتفظوا بمكانتهم - وسطاء تجاريين - بين الشرق والغرب [١] .

لقد كانت السفن البطلمية تبحر مساحلة ، حتى إذا بلغت القطاع الجنوبى من البحر الأحمر واجهت رياحاً جنوبية - شرقية ، وشرقية ، تسود تلك الأرجاء . ولم يكن فى طوع السفن البطلمية مجاراة السفن العربية عند بلوغ المحيط الهندى . فما كان منها إلا أن تساحل بلاد العرب الجنوبية أمداً غير بعيد قبل أن تيمم نحو الهند مع الرياح الشمالية الشرقية . لذلك بذل البطالمة قصارى جهدهم فى الوصول - بأسلوب منتظم يسير - إلى الهند مباشرة [٢] .

حتى إذا كان مطلع القرنت الثانى قبل الميلاد إذ بسفن البطالمة تجوب البحر الأحمر ، بعد عجزها عن تخطى مضيق باب المندب ، بعد أن نجحت فى اجتيازه والوصول إلى " حضرموت " [٣] ، أحد مواطن البخور والمواد العطرية [٤] .

ثم كان فى عهد " بطلميوس الثامن " (يوارجتيس الثانى) ، الذى حاول استرداد مجد الاسكندرية فى التجارة الخارجية [٥] ، أن تمكن البحار الاغريقى "إيدوكسوس" [٦] (Eudoxus) من الابحار من مصر إلى الهند

---

(1) Tarn (W. W.) , loc. cit.

(٢) جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ص ٧١ / ٧٣ .

(3) Tarn (W. W.) , loc. cit.

(4) Cf. Strabo , XVL , 4 .

(5) Rostovtzeff (M.) , op. cit. , II , p. 923 .

(٦) " إيودوكسوس" القوزيقى ، نسبة إلى " قوزيقوس " (Cyzicus) ، إحدى مدن آسيا الصغرى. جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

Fraser , op. cit. , I , pp. 182 / 4 .

مباشـــرة [١] . وذلك أن حـرس سـواحل (Nauklermachimoi) [٢] خليـج السـويس حملوا إلى عاهلهم رجلاً كان مشرفاً على الغرق على ساحل الخليج ، يتمتم بلغة لم يفهموها . تبين بعد تعليمه الاغريقيـة أنـه " هندى " ضـل الطريـق . وقـد وعـد بـأن يكون دليلاً لجماعة أرسل بها الملك إلى بلاده . وقـد كـان أن أرسـل الملـك البطلمـى الهند ببعثة ناجحة ، برئاسة "ايودوكسوس " وهذا الرجل ، محملـة بالهدايـا ، إذ عـاد إلى مصر بمقادير وافرة من العطور والطيوب والأحجار الكريمة ، وإن سلبه الملـك كل ما عاد به . ثم انطلق فى رحلة أخرى إلى الهند ، كانت هذه المرة بتكليف من " كليوباترة الثالثة " [٣] غير أن الرياح عند عودته حملته إلى ما وراء " أثيوبيا " ، قبـل أن يعود إلى مصر . وإن تعرض لسلب ما معه كذلك تارة أخرى [٤] .

لذلك فقد كان " ايودوكسوس " أول إغريقى يصل إلى الهند بالطريق البحـرى مباشرة [٥] .

---

(1) Strabo , II , III , 4.

(٢) نصحى ، المرجع السابق ، حـ١ ، ص ٤١٦ .

(٣) التى خلفت زوجها " بطلميوس يوارجتيس " .
نصحى ، المرجع السابق ، حـ١ ، ص ٢٤٧ .

(4) Strabo , II , III , 4.
Cf. Rostovtzeff (M.) , op. cit. , II , p. 926 .
نظراً لأن المواد العطرية كانت احتكارات ملكية .
نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص٥٧ .
مصطفى كمال عبدالعليم ، " تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطريـة فـى العصريـن اليونـانى والرومـانى " ، دراسات فـى تـاريخ الجزيـرة العربيـة ، الريـاض ، ١٩٨٤ ، حـــ٢ ، ص٢٠٥ .

(5) Tarn (W.W.), Hellenistic Civilization, 3 rd ed., London , 1951, p., 214 .

هذا – وللرياح الموسمية إتجاهان : فهى تهب من الشمال الغربى فى فصل الصيف على مدى أربعين يوماً [١] من ظهور نجم الشعرى اليمانية [٢] ، الذى يوافق التباشير الأولى من فيضان النيل ، الذى يغمر مصر بالمياه ، على حين يسود الجفاف شبه جزيرة البلقان [٣] . ثم تهب من الشمال الشرقى فى فصل الشتاء [٤] . ويرجع بعض الباحثين طرق الافادة من الرياح الموسمية إلى الحقبة التى عاش فيها "ايودوكسوس" ، كما لا يستبعدون أن يكون "ايودوكسوس" صاحب الفضل فى الكشف عنها [٥] . بينما يرى آخرون أن رحلة "ايودوكسوس" كانت بداية مرحلة جديدة من مراحل علاقات البطالمة بكل من الجنوب والشرق ، ومن ثم كان الكشف الجزئى عن اسلوب الافادة من الرياح الموسمية [٦] .

---

(١) سارتون ، تاريخ العلم ، جـ ١ ، ص ٤١١ ، هـ ٦٥٠

(٢) " سويدة " أو " جالبة الفيضان " ، إذ اعتبره المصريون القدامى انثى ، وجعلوا بداية ظهوره فى الأفق الشرقى فجر يوم ١٧ يوليو ، اليوم الأول من الشهر الأول من الفصل الأول ، وهو فصل الصيف أو الفيضان .

عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٠٥

(3) Cf. Herod., II, 19 -25 .

(٤) جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ص ٦٩ / ٧٠

راجع الخريطة رقم (٢) .

(5) Rostovtzeff (M.) , op. cit., p. 174 .

Ghazal (A.H.), "Trade between Pre- Islamic Arabia and Egypt in Alexandrian Literature" , Ages, Vol.2 , prat I , London , 1987, p. 4.

(6) Fraser (P.M.), op. cit., I , p. 174 .

وكان فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد أن وقع ذلك التطور الملاحى الهائل، إذ اهتدى " هيبالوس " [١] (Hippalus) - الملاح الاغريقى ، الذى عرف الطرق البحرية واتجاهات الرياح الموسمية - إلى طرق الافادة منها .

ويتبين من تصور مسار رحلة بحرية إلى الهند آنذاك ، أن صغار السفن إنما كانت تشرع مع هبوب الرياح الموسمية من المحيط على سواحل الهند ، فى رحلاتها من " عدن " [٢] (Eudaemon) ، وقنا [٣] (Cana) حول سواحل الخلجان القريبة حتى " رأس جواردا فوى " [٤] (Gwarda Fui) . على حين يميل القاصدون "داميركا " (Damirica) - جنوبى الهند - بعيداً عن الرياح . ثم تبحر إلى سواحل "كرمانيا" [٥] (Carmania) ، " وجيدروسيا " [٦] (Gedrosia) ، وبذلك تصل إلى الموانئ الهندية مثل " بربريكن " [٧] (Barbaricon)

---

(1) Jouguet (P.) , Trois Etudes sur L` Hellenisme, Le Caire, 1944, III, P. 171 .

(2) The Periplus , Ch. 26.

(٣) ميناء حضرموت [Cf. Theoph., IX, VI .] الرئيسى ، شرقى عدن ، حيث كانت السفن تفرغ حمولتها من البضائع الهندية والأفريقية ، لمقايضة منتجات الجزيرة العربية بها .

The Periplus, Ch. 37; 28 .

Doe (B.), " Southern Arabia ", P.S.A. S., Vol. 1-3, London , 1971 -73, p. 257 .

(٤) " رأس التوابل " (Cap of Spices) .

Potts (D.T.), The Arabian Gluf in Antiquity, Oxford, 1990, II , pp. 13 , 321 .

(5) Cf. Plin . VI, XXVII, 107 .

(6) Warmington (M.A.) , The Commerce Between the Roman Empire and India, London, 1974, p. 45 .

(7) Rey- Conquais (J.P.), " L` Arabe dans les Routes de Commerce enter le Mond Mediterraneen et les cotes Indiennes " , L` Arabie Pre - Islamique et son Environnement Historique et Culturel , Actes du Collogus de Strasbourg , Leiden ,1988, p. 237 .

و"باريجازا" [١] (Barygaza)، بفضل رياح مواتية [٢] .

ومن الباحثين من يرى أن " هيبالوس " قد كان ممن رافقوا "ايودوكسوس" ، وعرف عنه مسالك الابحار عبر المحيط مباشرة إلى الهند ، بعون الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التى تهب فى الصيف [٣] .

والراجح أن ما احرز " هيبالوس " من شهرة إنما يعزى إلى توفيقه فى الافادة من الرياح الموسمية الشمالية الغربية التى يسرت الرحلة إلى شبه القارة الهندية [٤] . على حين تسهل العودة بفضل الرياح الشمالية الشرقية الشتوية بما تتيح من أفضل الظروف الملائمة للإبحار غربا [٥] .

واختلف الباحثون فى تاريخ الكشف عن طرق الافادة من الرياح الموسمية . فقيل إن " هيبالوس " إنما اهتدى إلى هذا الكشف فى النصف الأول من القرن الأول للميلاد [٦] . كما رده غيره إلى ماقبل ذلك بقرون ثلاثة [٧] .

---

(١) تعرف حاليا باسم " براوخ " على ساحل الهند الغربى .
أنظر : نقولا زيادة ، " دليل البحر الأريترى وتجارة الجزيرة العربية البحرية " ، دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام ، الكتاب الثانى ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦٥ .
The Periplus , Ch. 32 .

(2) Fraser (P.M.), op. cit., pp. 638 -9.

أنظر الخريطة رقم (٣) .

(٣) جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ص ٦٦ – ٦٧ .

(4) Warmington (M.N.), op. cit., p. 44 .

(٥) جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ص ٦٩ /٧٠ .

(٦) فى عهد الامبراطور " كلوديوس " (Claudius) ، من سنة ٤١ إلى سنة ٤٥ م .

(٧) أى خلال العصر البطلمى .

على أن الآراء انتهت – الآن – إلى تقسيم طرق الافادة من الرياح الموسمية إلى مراحل أربع [١] . تبدأ أولاها بكشوف الاسكندر الأكبر وبعثاته البحرية [٢] . وكان من أهم دوافعها ضمان الطريق البحرى بين مصر والهند ، وربط كل من المحيط الهندى وبحر العرب بالبحر المتوسط عن طريق البحر الأحمر [٣] . وتنتهى بعهد " تيبيريوس " [٤] (Tiberius) . وقد شهدت هذه المرحلة الابحار من الموانئ الجنوبية من جزيرة العرب ، بمراكب صغيرة تساحل لتلتف مع الخليج العربى ثم "رأس مصندام" (Rais Musandam) حتى سواحل " كرمانيا " ، ومنها إلى داخل شبه القارة الهندية ، والعودة الطريق نفسها [٥] .

نصحى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٥٧ .

جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(1) Warmington (M.N.), op. cit., pp. 44 f.
Cf. Fraser (P.M.)op. cit., I, pp. 181- 2

(2) Potts (D.T.), op. cit., pp. 5 - 6.
Glover (T.R.), The Ancient World, London, 1953, p. 233.
Cf. Fraser (P.M.)op. cit., I, pp. 181, 289.

(٣) مصطفى كمال عبد العليم ، " هيرودوت يتحدث عن العرب وبلادهم " ، العصور ، لندن ، ١٩٨٧ ، مج ٢ ، جـ ١ ، ص ١١ .

Cf. Potts (D.T.), op. cit., p. 5.

(٤) ثانى الاباطرة الرومان (١٤ : ٢٧ م)

أنظر تشالزورث ، الامبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزى جرجس ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٣٥ .

(5) Plin., VI, 100.

وتبدأ المرحلة الثانية من حيث تنتهى الأولى أى من عهد " تيبيريوس " حتى عهد " جايوس " [١] (Gaius) ، حيث تمكن بعض البحارة من الانطلاق من موانئ بلاد العرب الجنوبية – مثل " قنا " – إلى الهند [٢] .

كانت المرحلة الثالثة فيما بين سنتى ٤١ ، ٥٠ م . بما نشأ لدى الإغريق [٣] من حوافز الابحار إلى الهند ، فانطلقوا برحلاتهم البحرية من بلاد العرب السعيدة (Arabia Eudaemon) ، وميناها " قنا " ، مروراً " برأس فارتاك " إلى مقصدهم [٤].

أما المرحلة الرابعة والأخيرة ، فقد تجلت فى الانطلاق بشكل عادى منتظم ، إلى الهند مباشرة [٥] من بلاد العرب .

على أنه لا سبيل إلى نسبة هذا الكشف إلى ما بعد سنة ٩٠ ق.م ، حيث لا يتسع الزمن لغير المراحل اللاحقة التى تطورت إليها أساليب الافادة من الرياح الموسمية [٦] ، على النحو الذى ذكره " بلينى " [٧] .

---

(١) وكنيته " كاليجولا " (Caligula) ، ثالث الأباطرة الرومان (٣٧ : ٤١ م) .
انظر : تشارلزورث ، المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(2) Warmington (M. A.) , op. cit. , p. 44.

(٣) علهم " الرومان " ، إذ انقضى حوالى قرن من الزمان على زوال دولة البطالمة ، وقبلها بقرن ونصف تقريباً أصبحت بلاد الإغريق ولاية رومانية .
cf. Warmington (M. A.) , loc. cit.

(4) Plin. , VI , 101 .

(5) Warmington (M. A.) , op. cit. , p. 46 .

(٦) جورج حورانى ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(7) Plin. , VI , 101 .

ومن ثم فلا مكان لرد الكشف إلى النصف الأول من القرن الأول للميلاد [١] . إذ الأرجح توقيته بعام ١١٦ ق.م [٢] . فما كان هذا الكشف إلا نتيجة لاهتمام زائد أولاه البطالمة للكشوف والارتياد [٣] ، فى حقبة سرى فيها الضعف إلى مملكة منافسيهم السلوقيين [٤] .

وقد كان للكشف عن عناصر الافادة من الرياح الموسمية آثاره الايجابية على أحوال مصر أواخر عصر البطالمة ، إذ سهلت لهم سبل الاتصال المباشر بالهند [٥] . وتكثيف التجارة بين البحر الأحمر والمحيط الهندى ، أو بمعنى آخر بين الشرق والغرب [٦] . وواقع الأمر أن التجارة الشرقية قد اكتسبت من ذلك أهمية لم تكن لها من قبل [٧] .

وينهض شاهداً على ذلك ظهور منصب " قائد البحرين الاريوثيرى والهندى " (ἐπὶ τῆς Ἐρυθρᾶς καὶ Ἰνδικῆς θαλάσσης) ، فى الوثائق البطلمية [٨] ،

---

(1) Warmington (M. A.) , op. cit. , p. 44 .

(٢) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص ٥٧ .
مصطفى كمال عبدالعليم ، تجارة الجزيرة العربية مع مصر ، ص ٢٠١ .

(3) Strabo , XVI .
Rostovtzeff (M.) , op. cit. , pp. 387 - 8 .

(٤) مفيد العابد ، سورية فى عصر السلوقيين ، دمشق ، ١٩٩٣ ، ص ١٤٤ وما يليها .

(٥) دى لاسى أوليرى ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ترجمة موسى على الغول ، عمان ، ١٩٩٠، ص٩٣ .

(6) Plin. , VI , 100 , 104 , 106 .
Periplus , Ch. 57 .

(٧) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص٥٧ .

(8) O. G. I. S. , 132 , 186 .
cf. Rostovtzeff (M.) , op. cit. , p. 928 .

أواخر القرن الثانى ، ومطالع القرن الأول قبل الميلاد . وأن ذلك وإن دل فإنما يدل على اهتمام البطالمة الأواخر بأمور التجارة الشرقية ، وإنشاء أسطول لحمايتها فى البحار الشرقية [١] ، تحت إمرة ذلك القائد .

وتجدرة الاشارة إلى قرار [٢] مجلس الشيوخ الرومانى حوالى عام ١١٠ ق.م. ويقضى بتحريم نقل السلع عبر بلاد اليهود أو من موانيها [٣] ، إلا على ملك مصر [٤] ، صديق روما وحليفها .

وهناك أدلة متعددة على وفود تجار الهند إلى مصر ، منها نصب الموتى التى عثر لهم عليها فى الاسكندرية [٥] .

ومما لاشك فيه تقدم التجارة الشرقية باطراد آنذاك ، وما كسبت مصر من نفوذ كبير فى أقاليم الشرق بحيث عرضت " كليوباترة " (Cleopatra) السابعة ، على رفيقها " ماركوس أنطونيوس " [٦] (M. Antonius) ، بعد انسحابهما من " أقتيوم "

---

(1) Jouguet (P.) , Nat. Egypt. , III , pp. 169 - 170 .

(2) Josephus , Ant. , XIV , 249 - 250 .

(٣) حتى إن كان " انطيوخوس " (Antiochus) التاسع (فيلوباتور – Philopator) . حكم فى الفترة ما بين سنتى ١١٦ : ٩٥ ق.م .

انظر : مفيد العابد ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٤) " بطلميوس الثامن " (يوارجتيس الثانى) .

(٥) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص٥٨ .

(٦) شحاتة محمد اسماعيل ، " ماركوس أنطونيوس وكليوباترة السابعة ، إعادة تقييم لطبيعة العلاقات بينهما " ، مجلة كلية الدراسات الانسانية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، العدد الرابع ، ص١٧٦ .

(Actium) [١] أن يهجرا مصر ويحكما البحار الهندية . ولا شك أن كليوباترة كانت جادة فى عرضها هذا [٢] ، وآية ذلك محاولتها ارسال " قيصرون " ابنهما ليكون فى مأمن هناك [٣] .

وقد ترتب على كل ذلك تقدم فن الملاحة أكثر من ذى قبل [٤] ، مما أدى إلى ظهور كتب الطواف دليلاً للبحارة والتجار [٥] .

ويأتى " أجثارخيديس " [٦] (Agatharchides) على رأس من كتبوا فى هذا المجال . وله مؤلفان تاريخيان رئيسيان هما " أحداث فى آسيا " (Events in Asia) و " أحداث فى أوروبا " (Events in Europe) وقد تضمنا مادة جغرافية غزيرة ، لعل "ديودور الصقلى" قد استمد من أولهما تصويره " لأثيوبيا " (Ethiopia) ولعله استمده كذلك لبلاد العرب ، ووصفه للنيل [٧] .غير أن شهرة " أجثاخيديس " جغرافياً ، إنما تراجع أساساً إلى كتابه بأجزائه الخمسة : " عن البحر الإروثيرى "[٨]

---

(1) C. I. L. , I , pp. 820 ff.

(٢) نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص٥٨ .

(3) Plut. , Ant. , 78 - 82 .

(4) Rostovtzeff (M.) , op. cit. , II , p. 924 .

(٥) دى لاسى أوليرى ، المرجع السابق ، ص٩٤ .

(6) Fraser (P. M.) , op. cit. , I , pp. 174 , 516 , 539 , 550 , 552 ; II , p. 744 n . 183.

(7) Diod. , III , 5 , 51 .

(8) Fraser , (P. M.) , op. cit. , I , pp. 173 / 4 .

وتجدر الاشارة إلى أن " أروثيرى " (Erythraean) ، كلمة يونانية بمعنى " الأحمر" . وقد أطلقت على القسم الشمالى من المحيط الهندى بأجزائه ومتفرعاته ، بما فى ذلك البحر الأحمر ، بحر العرب ، الخليج العربى . أنظر :

نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص٢٦٣ .

(Peri Erythras Thalasses) . وإن فقد منها الثانى والثالث والرابع ، ولم يتبق إلا الأول الذى حفظ لنا " فوتيوس " (Photius) ملخصاً موجزاً له ، والخامس وملخصه أطول [١] .

ويبدأ ملخص الجزء الأول بمناقشة اشتقاق اسم " البحر الإريوثيرى " ، إذ روى " أجثارخيديس " عن فارس متأغرق - اروثراس - فقد خيوله عند فرارها هاربة من مطاردة الأسود . وأنه فى بحثه عنها فى البحر ، وجد جزيرة مهجورة ، استطاع أن يبنى عليها مدينة . وأنه جلب لها مهاجرين متذمرين من أوضاعهم فى بلادهم . ثم عمد بانشاء مدن أخرى على الجزر المجاورة . ومن ثم ذاع صيته وسُمى " البحر الأحمر " باسمه . ومن ثم يكون تفسيره هذا مأخوذاً عن أسطورة فارسية ، رغم شدة انتقاد " أجثارخيديس " تفسير الاصطلاحات الجغرافية بالأساطير . أما نهاية هذا الجزء فيبدأ بخطبة منمقة القاها وصى على عرش مليكه الصغير ، منبهاً إلى خطورة الخروج فى حملة أثيوبية . وغير بعيد أن تكون هذه الخطبة جزءاً من وصفه لبلاد النوبة . ثم يخلص من هذا الجزء إلى الحديث عن أسلحة النوبيين ، وجيش بطلميوس [٢] من المرتزقة [٣] .

أما الجزء الخامس [٤] فيبدأ باستطراد طريف ، تناول فيه أفضل وسيلة للابلاغ عن كارثة ما إلى أشخاص لا يعنيهم أمرها . ثم ينتقل " أجثارخيديس " إلى

---

(1) Diod. , III .

(٢) المقصود به بطلميوس الخامس (فيلوميتور) الذى قام باستعمار النوبة .
Cf. O.G.I.S., III .

(٣) نصحى ، المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٢٦٦ .

(4) Diod. , III . 1 - 15 .

وصف صعيد مصر ، وما وراءه من أقاليم متناولاً استغلال مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية [١] .

أما ما يهمنا فى هذا المجال فهو وصفه لرحلة طافت بالبحر الأحمر وخليج العقبة ، والخليج العربى . وقد أوضح " أجثارخيديس " منذ البداية أن وصفه هذا لا يتناول الموانئ والمدن الساحلية ، بل قصد به إلى وصف عجائب تلك الأقاليم . وقد وصف جزيرة " التوباز " [٢] ، وصور نكبات السفن التى تنقل الفيلة ، وما يلقى الملاحون من أهوال البحر . كما قدم وصفاً لسبأ وكثرة رجالها ووفرة ثرائهم [٣] ، وأشار إلى خصوبة أراضيهم ، دون أن تفوته الاشارة إلى بعض أسباب الشقاء التى قد تصيب ساكنو تلك الجنة . ثم تعرض لبعض الظواهر الفلكية ، ثم لينهى مؤلفه بسلسلة غير مترابطة من الظواهر الطبيعية [٤] .

أما أشهر كتب الطواف فهى " الطواف حول البحر الإريوثيرى " (Periplus Maris Erythraei)، صنفه إغريقى لم نعرف اسمه فى أواسط القرن الأول للميلاد[٥].

وقد ورد فيه وصف موانئ البحر الأحمر مثل " برينيقى " (Berenice) ،

---

(١) قدم " أجثارخيديس " صورة بائسة لعمال تلك المناجم ، عراة الأجسام المقيدين بالاغلال ، الذين كانوا ينقبون الصخر داخل دهاليز عميقة ملتوية مظلمة تحت إمرة حراس غلاظ القلوب . انظر : نصحى ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص ص٦ / ٣٧ .

(2) Fraser (P. M.) , op. cit. , p. 544 , n. 272 .

(٣) لطفى عبدالوهاب ، العرب فى العصور القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص٣٠٩ .
Cf. Strabo , XVI ,IV , 19 .

(4) Diod. , III 1 - 50 .

(٥) لطفى عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص٣٣٠ .

و"ليوقى قومى" (Leuke Kome) ونسبها إلى الأنباط [١]. كما ذكر موزا [٢] (Muza) ووصفها بأنها سوق تجارية [٣] . ثم يذكر " قنا " (Cana) و " أوقليس [٤] (Ocelis) ، وبلاد العرب السعيدة (Arabia Eudaemon) وتجارتها مع الهند . كما تعرض للساحل الإفريقى للبحر الأحمر واستقرار العرب هناك [٥] .

وهكذا أبحرت سفن البطالمة إلى الهند مباشرة عبر المحيط الهندى بدلاً من التزام السواحل العربية . وقد أدى هذا - بالتالى - إلى قيام رحلات مباشرة بين الاسكندرية والهند ذهاباً وإياباً خلال عام واحد ، بعد أن كانت الرحلة تستغرق عامين متتالين . وقد ساعد ذلك كله على مضاعفة النشاط التجارى البطلمى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الأول قبل الميلاد ، فزاد عدد ما كان لدى أهل الاسكندرية من سفن ستة أضعاف ما كانت عليه من قبل ، كما ازداد كذلك حجمها وسرعتها[٦].

إذ ذُكرت سفينة بلغت حمولتها ٣٩٠٠ طن من البضائع ، وعليها ٦٠٠ ملاح و٣٠٠ من مشاة الأسطول [٧] .

---

(1) The Periplus , p. 61 .

(2) Warmington (M. A.) , op. cit. , p. 8

عند أو قرب " المخا " ، حاليا .

(3) The Periplus , p. 63 .

(4) Warmington (M. A.) , loc. cit.

(5) The Periplus , Chs. 21 , 27 .

(6) Rostovtzeff (M.) , op. cit. , p. 924 .

دى لاسى أوليري ، المرجع السابق ، ص٩٤ .

(٧) نصحى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص٦٤ .

وهكذا نشطت يومئذ تجارة مصر الخارجية ، رغم تدهور زراعتها وصناعتها ، واضطراب أحوالها الداخلية ، وكأنما أخّر ذلك مع عوامل أخرى سقوط دولة البطالمة زهاء قرن من الزمان .

كما كانت لهذا الكشف آثاره السلبية على أحوال الجزيرة العربية ، إذ أدى إلى انهيار عصب الاقتصاد العربى آنذاك ، وهو التجارة . على أنه يجب قبل أن نعرض لأثر الافادة من الرياح الموسمية فى الحياة السياسية فى الجزيرة العربية ، أن نستعرض تباين أشكال تلك الحياة هناك . إذ كان التجمع القبلى أول تلك الأشكال، حيث كانت القبيلة ، إلى جانب وظيفتها الاجتماعية كياناً مستقلاً ووحدة سياسية لها حرية التصرف فى أمورها الداخلية وعلاقاتها مع سائر القبائل بل كانت الشكل السياسى الوحيد الذى يستطيع التلاؤم مع طبيعة الحياة فى البادية [١] . وإن فرضت الظروف أحياناً تكتل بعض القبائل تحت لواء واحد . وفى النقوش الأشورية ما يشير إلى قوة عربية كانت تحت زعامة أمير عربى يدعى " جنديبو " (جندبة) [٢] .

وإلى جانب هذا التكوين القبلى بصفتيه المنفردة أو المجتمعة ، كان ثمة نوع آخر تمثل فى إمارات أو ممالك صغيرة [٣] ، قامت لأسباب اقتضتها التجارة ، أو عند نقطة توازن ، أو نقطة التقاء دولتين كبيرتين [٤] . ومن أمثلة ذلك مملكة

---

(١) لطفى عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ص٣٤٢ / ٣٤٤ .

(٢) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص١٥٧ .

(٣) أطلق عليها الامارات أو الممالك الحدية (Buffer States) .

(٤) لطفى عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ص ٤ / ٣٤٥ .

الأنباط ، و " تدمر " [١] ، وإمارتا الغساسنة [٢] واللخميين [٣] . أما النوع الثالث فقد تمثل فيما قام جنوبى الجزيرة العربية من ممالك مثل معين [٤] ، وقتبان [٥] ، وأوسان [٦] ، وحضرموت [٧] ، وغيرها .

وقد انعكست هذه الآثار السلبية على الحياة السياسية فى بلاد العرب ، إذ أدت إلى انهيار الدعامة الاقتصادية التى قامت عليها بعض إمارات جزيرة العرب وممالكها ، وآلت بها إلى السقوط .

وكان منها مملكة الأنباط التى قامت فى النطاق الشمالى الغربى من جزيرة العرب [٨] . وازدهرت تجارتها [٩] ، بفضل مرور الخطوط التجارية عبر

---

(١) اختلفت الآراء حول نشأتها ، إلا أنها كانت مدينة تجارية ، كونت لها كياناً سياسياً ، بلغ شأواً كبيراً فى العصر الرومانى . انظر :

Ammianus Marcellinus , " Rerum Gestarum Libri " , xxx , ii , 14 .
Fedden (R.) , Syria , An Historical Appreciation , London , 1947 , pp. 107 - 110 .

(٢) قامت الشام على حدود الامبراطورية الرومانية .

جواد على ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٨٧ وما يليها .

(٣) قامت على التخوم الغربية لنهر الفرات على حدود الامبراطورية الفارسية .

انظر : لطفى عبدالوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ وما يليها .

(4) Doe (B) , op. cit. , pp. 66 ff .

(5) Theoph. , IX , VI , 10 ;
Strabo , XVI , IV , 2 .

(٦) عبدالعزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١٠٣ .

(7) Strabo , XVI , IV , 2 .
Plin. , VI , 28 .

(8) Parr (P. J.), "The Nabataens and North West Arab", P. I. A.,1970, 8-9, p.251

(9) Diod. , XIX , 89 .

أراضيهم [١] ، بحيث كانت عاصمتهم " البتراء " [٢] (Petra) ،أهم مركز تجارى – فى الشمال – على طريق البخور ، ومنها تفرعت معظم الطرق التى ربطتها بالمراكز التجارية فى كل من الشمال والشرق [٣] .

كما تطلع الأنباط إلى السيطرة على التجارة البحرية [٤] ، بالسيطرة على عدد من موانئ البحر الأحمر الهامة ، " كالحجر " (Egra) ، و " ليوقى قومى " [٥] ، وكذلك عمدوا إلى مهاجمة السفن الأجنبية فى البحر الأحمر ، مما أدى إلى احتكاكهم المباشر مع البطالمة [٦] . لذلك تمكنوا من الوصول بحدود مملكتهم إلى أقصى توسع لها إبان القرن الأول للميلاد [٧] .

إلا أن هذا القرن شهد طورين كان لهما أكبر الأثر فى تدهور المملكة وسقوطها . أولهما ما كان من الافادة من الرياح الموسمية ، وأدى إلى نشاط تجارى بحرى مباشر بين مصر والهند . وقلة الاقبال على طرق التجارة البرية المألوفة . وثانيهما ما كان من انحراف طريق التجارة الطولى بين بلاد العرب السعيدة والشام، نحو الشرق قليلاً ، ففقدت " البتراء " – ذات المركز التجارى – قدراً كبيراً من

---

(١) جواد على ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص٢٠ .

(2) Negev (A.) , " The Early Beginings of the Nabataeans Realm " , P. E. Q. , London , 1976 / 7 , 108 / 9 , p. 132 .

إحسان عباس ، تاريخ دولة الانباط ، عمان – الأردن ، ١٩٨٧ ، ص١٢ وما يليها .

(3) Stareky (D.) , " The Nabataeans : An Historical Sketch " , B. A. , 1955 , vol. XVIII . p. 4 , p. 87 .

(٤) عبدالعزيز صالح ، المرجع السابق ، ص١٦٣ .

(٥) جواد على ، المرجع السابق ، حـ٣ ، ص٥٥ .

(6) Diod. , XIX , 93 - 103 .

(٧) بعد استيلائهم على منطقة " جوف سورية " (Coele Syria) ومدائن صالح .